سِرُّ المَقْعَدِ



تأليف: د. محمد الدرويش

رسم: إبراهيم رمضان

سِرُّ المَقْعَدِ



تأليف: د. محمد الدرويش

رسم: إبراهيم رمضان

تَغَيَّرَتْ حَياةُ أُسْرَةِ «ناجي» رَأْسًا عَلى عَقِبٍ في ذَلِكَ اليَوْمِ الشَّتَوِيِّ البارِد. حَضَرَتْ دَوْرِيَّةٌ مِنَ الشُّرْطَةِ واقْتادَتِ الأَبَ إلى السَّيّارَة. لَمْ يَعْرِفْ «ناجي» سَبَبَ اعْتِقالِ أَبيه. رَكِبَ الأَبُ سَيّارَةَ الشُّرْطَةِ مِنَ البابِ الخَلْفِيِّ وَسْطَ بُكاءِ أَطْفالِهِ الأَرْبَعَة: «ناجي»، «أَحْمَد»، «سالِم» و«مُنى». تَجَمَّعوا أَمامَ بابِ المَنْزِل، والمَطَرُ يَنْهَمِرُ بِغَزارَةٍ عَلى وُجوهِهِم الصّافِيَةِ المُغَطّاةِ بِالدُّموعِ البَريئَة. احْتارَتِ الأُمُّ المِسْكينَةُ بَيْنَ تَهْدِئَةِ أَطْفالِها وبَيْنَ النَّظَرِ إلى زَوْجِها الَّذي أَخَذَ يَبْتَعِدُ عَنْها ولَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ سِوى وَجْهِهِ الحَزينِ وَراءَ النّافِذَةِ الحَديدِيَّةِ في سَيّارَةِ الشُّرْطَة.

صَرَخَ الأَب: «لا تَخافي يا مَيْساء. لا تَخافوا يا أَوْلادي. سَأَعودُ غَدًا، سَأَعود».

وابْتَعَدَتِ السَّيّارَةُ وتَلاشى صَوْتُ الأَب.

وَقَفَ الأَوْلادُ مَعَ الجيرانِ المُتَجَمْهِرينَ أَمامَ بابِ المَنْزِلِ وبَدَأَتِ الأَقاويلُ والتَّعْليقات:



ـ لا بُدَّ أَنَّهُ ارْتَكَبَ جَريمَةً ما.

ـ إِنَّهُ يَعْمَلُ مُحاسِبًا. قَدْ يَكونُ مُتَّهَمًا في قَضِيَّةِ اخْتِلاسٍ.

هُنا صَرَخَ أَحَدُ الجيران: «هَيّا. لِيَنْصَرِفِ الجَميع. لا يُمْكِنُنا إِلْقاءُ التُّهَمِ جِزافًا».

انْصَرَفَ الجَميعُ ما عَدا الجارَ «مُعين» وزَوْجَتَهُ ومُخْتارَ الحَيّ.

دَخَلَتِ الأُمُّ الحَزينَةُ مَعَ أَوْلادِها إِلى المَنْزِل.

قالَ المُخْتار: «لا تَحْزَني يا أُمَّ ناجي. لا بُدَّ أَنَّ هُناكَ سوءَ فَهْمٍ. نَحْنُ نَعْرِفُ أَبا ناجي جَيِّدًا. إِنَّهُ رَجُلٌ شَريفٌ ولا يُمْكِنُ أَنْ يَرْتَكِبَ أَيَّ جَريمَةٍ».

الأُمّ: «شُكْرًا لَكَ يا مُخْتار. لَقَدْ رَفَضَ أَبو ناجي تَزْويرَ عُقودٍ وَهْمِيَّةٍ فَدَبَّروا لَهُ هَذِهِ المَكيدَة».

«ناجي»: «مَنْ هُم يا أُمّي؟».

الأُمّ: «المُديرُ وأَعْوانُه. لَقَدْ صارَحَني أَبوكَ بِهَذا المَوْضوعِ مُنْذُ



بِضْعَةِ أَيّامٍ وكانَ خائِفًا مِنْ سَطْوَةِ مُديرِه. ولَكِنَّ الحَقَّ سَيَظْهَرُ وسَيَخْرُجُ أَبوكَ قَريبًا».

«ناجي»: «سَأَذْهَبُ الآنَ إلى قِسْمِ الشُّرْطَة! يَجِبُ أَنْ يَعودَ أَبي إلَيْنا. إنَّهُ مَظْلومٌ. إنَّهُ بَريءٌ».

بَكى «ناجي» بِحَرْقَةٍ، وانْسَكَبَتْ دُموعُهُ عَلى وَجْنَتَيْه.

حاوَلَتِ الأُمُّ أَنْ تُهَدِّئَ مِنْ غَضَبِ ابْنِها ذي السَّنواتِ الثَّلاث عَشَرَة، فَقالَت: «اِهْدَأْ يا بُنَيّ. سَيَعودُ أَبوكَ حَتْمًا. إنَّهُ بَريءٌ».

المُخْتار: «كُنْ صَبورًا يا ناجي. سَأَذْهَبُ غَدًا إلى قِسْمِ الشُّرْطَةِ لِأَسْتَوْضِحَ الأَمْرَ مِنْ أَبيكَ».

الجارُ «مُعين»: «سَنَبْذُلُ قُصارى جُهْدِنا كَيْ يَعودَ أَبو ناجي إلى عائِلَتِه».

جَلَسَتْ زَوْجَةُ «مُعين» قُرْبَ «أُمّ ناجي» وحاوَلَتِ التَّخْفيفَ مِنْ وَطْأَةِ الكارِثَةِ الَّتي أَصابَتْها. لَكِنَّ «أُمّ ناجي» لَمْ تَكُنْ تَسْمَعُ كَلامَ جارَتِها، بَلْ كانَتْ غارِقَةً في عُيونِ صِغارِها. عُيونُهُم الَّتي طَرَحَتْ



آلافَ الأَسْئِلَةِ وامْتَزَجَتْ نَظَراتُ الضَّياعِ مَعَ دُموعِهِم السّاخِنَة.

حَضَنَتِ الأُمُّ أَوْلادَها وحاوَلَتْ كَبْحَ دُموعِها: «لا تَخافوا يا أَطْفالي. سَنَرى أَباكُم غَدًا. أَنا مُتَأَكِّدَةٌ. نَعَم، سَنَراهُ غَدًا».

احْتَضَنَ «ناجي» أَخاهُ الصَّغيرَ «سالِم». لَقَدِ اعْتادَ أَنْ يَنامَ إلى جانِبِ أَبيه. سَيَفْتَقِدُهُ اليَوْم. نامَ «سالِم» بَيْنَ يَدَي «ناجي». في هَذِهِ اللَّحْظَة، شَعَرَ «ناجي» بِقيمَةِ أَبيه: «آه يا أَبي. أَشْعُرُ أَنَّني في مَنْزِلٍ مِنْ دونِ سَقْفٍ. أَشْعُرُ بِالضَّياعِ وَسْطَ غابَةٍ موحِشَةٍ. أَرْجوكَ يا أَبي، عُدْ غَدًا. لا تَتْرُكْنا».

تَساقَطَتِ الدُّموعُ مِنْ مُقْلَتَي «ناجي» عَلى خَدِّ أَخيهِ النّائِمِ بَيْنَ يَدَيْه. كانَ «سالِم» مُسْتَغْرِقًا في النَّوْمِ ويَتَكَلَّمُ بَيْنَ الحينِ والآخَرِ أَثْناءَ نَوْمِه. مَسَحَ «ناجي» دُموعَهُ وقَبَّلَ أَخاهُ الصَّغيرَ لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ إغْماضَ عَيْنَيْهِ وأَمْضى اللَّيْلَ يُفَكِّرُ في الحَدَثِ الرَّهيبِ الَّذي أَصابَ أُسْرَتَهُ اليَوْم.

في الصَّباح، نَهَضَتِ الأُمُّ باكِرًا وأَعَدَّتِ الفَطورَ لِأَطْفالِها الَّذينَ يَنْتَظِرُهُم اليَوْمُ الدِّراسِيُّ الأَوَّلُ مِنْ دونِ الأَب.



نَهَضَ الأَطْفالُ وتَجَمَّعوا حَوْلَ أُمِّهِم. قالَ «ناجي»: «لَنْ أَذْهَبَ إلى المَدْرَسَةِ اليَوْم. لَنْ أَتْرُكَكِ وَحْدَكِ يا أُمّي».

الأُمّ: «لا يا ناجي! لا تَقْلَقْ عَلَيّ. سَأَذْهَبُ بِرِفْقَةِ المُخْتارِ إلى قِسْمِ الشُّرْطَة، أَمّا أَنْتَ وإخْوَتُكَ فَيَجِبُ أَنْ تَذْهَبوا إلى المَدْرَسَةِ كَالعادَة. رافِقْ أَخاكَ سالِم إلى مَدْرَسَتِه».

«أَحْمَد»: «تَسْتَطيعُ مُنى أَنْ تُرافِقَه. إنَّها في الصَّفِّ الثّالِث. لَقَدْ أَصْبَحَتْ كَبيرَةً. دَعي ناجي يُرافِقُكِ. قَدْ تَحْتاجينَ إلى المُساعَدَة».

وافَقَتِ الأُمُّ بِصُعوبَةٍ، وقالَت: «حَسَنًا يا ناجي. سَتَذْهَبُ مَعي هَذِهِ المَرَّة فَقَط. إنَّ غِيابَكَ عَنِ المَدْرَسَةِ اليَوْمَ يُعادِلُ عِنْدي وُجودَ أَبيكَ بَعيدًا عَنّا. هَلْ تَفْهَمُ ذَلِك؟».

«ناجي»: «نَعَم يا أُمّي... نَعَم».

«مُنى»: «سَمِعْتُكِ تَقولينَ هَذِهِ المَرَّة فَقَط! هَلْ هَذا يَعْني أَنَّ أَبي لَنْ يَعودَ اليَوْم؟!».



الأُمُّ: «لا أَدْري يا مُنى! لَكِنَّني أَتَمَنّى ذَلِك».

ذَهَبَ «أَحْمَد» الَّذي يَدْرُسُ في الصَّفِّ الرّابِعِ إلى مَدْرَسَتِه، بَيْنَما اصْطَحَبَتْ «مُنى» أخاها «سالِم» الَّذي يَدْرُسُ في الصَّفِّ الثّاني، وغادَروا المَنْزِلَ الحَزين.

وَدَّعَ «ناجي» إخْوَتَهُ الصِّغارَ وأَغْلَقَ بابَ المَنْزِلِ وأَلْقى رَأْسَهُ عَلى البابِ الخَشَبِيِّ القَديم. إنَّهُ لَيْسَ بابًا عادِيًّا بِالنِّسْبَةِ إلى «ناجي».

كانَ «ناجي» في السّادِسَةِ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَما اسْتَأْجَرَ والِدُهُ المَنْزِل. ويَتَذَكَّرُ جَيِّدًا كَيْفَ ذَهَبَ مَعَ أَبيهِ إلى نَجّارِ الحَيِّ «الحاج سَعيد» مِنْ أَجْلِ إصْلاحِ البابِ المُهْتَرِئ. أَصْبَحَ «الحاج سَعيد» الصَّديقَ الأَوَّلَ لِوالِدِهِ في هَذا الحَيّ. كانَتِ الطّيبَةُ والمَوَدَّةُ تَتَجَسَّدانِ في شَخْصِيَّةِ «الحاج سَعيد»، وعَلى الرَّغْمِ مِنْ عَمَلِهِ المُرْهِقِ والدَّقيق، فَقَدْ كانَ يَسْتَقْبِلُ الجَميعَ بِابْتِسامَةٍ تَمْلَأُ وَجْهَه. مُنْذُ ذَلِكَ الوَقْت، لاحَظَ «الحاج سَعيد» حالَةَ والِدِ «ناجي» المادِّيَّة، عَلى الرَّغْمِ مِنْ أنَّهُ يَعْمَلُ مُحاسِبًا، فَاقْتَرَحَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ مَعَهُ في وَرْشَةِ النِّجارَةِ بَعْدَ الدَّوامِ الرَّسْمِيّ.



تَذَكَّرَ «ناجي» سَنَواتِهِ الأُولى في هَذا الحَيّ.

كانَ يَذْهَبُ يَوْمِيًّا إلى والِدِهِ الَّذي يَعْمَلُ في الوَرْشَةَ. رائِحَةُ الخَشَبِ تَنْتَشِرُ في كُلِّ زاوِيَةٍ. يَقِفُ قُرْبَ أَبيهِ وأَحْيانًا يُناوِلُهُ مِنْشارًا أَوْ مِسْمارًا، وأَحْيانًا يُحَلّي لَهُ كوبَ الشّاي.

كانَ «الحاج سَعيد» يُمازِحُه: «تُضيفُ السُّكَّرَ إلى كوبِ أَبيكَ فَقَط. أَمّا أَنا، فَيا حَسْرَة. لا أَحَدَ يَهْتَمُّ بي».

انْهَمَرَتِ الدُّموعُ مِنْ مُقْلَتَي «ناجي» والتَصَقَ وَجْهُهُ بِالباب. وهُنا شَعَرَ بِيَدٍ دافِئَةٍ تَمْسَحُ دُموعَه، إنَّها يَدُ أُمِّه. اسْتَدارَ «ناجي» وارْتَمى في حِضْنِ أُمِّهِ وأَجْهَشَ في البُكاء. لَمْ تَسْتَطِعِ الأُمُّ إيقافَ دُموعِها. إنَّها تَعْرِفُ ما يَجولُ في أَعْماقِ ابْنِها البِكْر. إنَّهُ شُعورٌ يُشْبِهُ نَزْعَ المِعْطَفِ في لَيْلٍ شَتَوِيٍّ عاصِفٍ.

جَمَعَتِ الأُمُّ قِواها، وقالَت: «يَكْفي يا ناجي. يَكْفي أَرْجُوكَ، لَنْ يُفيدَنا البُكاءُ في شَيْءٍ».

مَسَحَ «ناجي» دُموعَه، وقال: «أَشْعُرُ بِالبَرْدِ يَتَسَلَّلُ إلى أَعْماقي. أَنا خائِفٌ يا أُمّي!». ابْتَسَمَتِ الأُمّ، وقالَت: «خائِفٌ؟! هَذا لَيْسَ



كَلام الرِّجال. نَعَم يا بُنَيّ، إنَّكَ رَجُلٌ. هَلْ يَخافُ الرِّجال؟».

اصْطَحَبَتِ الأُمُّ ابْنَها إلى فِناءِ المَنْزِلِ وجَلَسا عَلى المَقْعَدِ العَريض. نَظَرَتِ الأُمُّ إلى ابْنَها، وقالَت: «اِسْمَعْ يا بُنَيّ، يَجِبُ أَنْ نُواجِهَ هَذِهِ المُشْكِلَةَ بِشَجاعَةٍ. اِطْرَحِ الخَوْف جانِبًا. اُنْظُرْ جَيِّدًا، أَنا مَعَكَ، وإخْوَتُكَ الصِّغارُ مَعَنا. يَنْقُصُنا أَبوكَ فَقَط، سَنَبْذُلُ جُهْدَنا كَيْ يَعود».

عادَتِ الرّوحُ إلى «ناجي» بَعْدَ سَماعِ كَلِماتِ أُمِّه، وقال: «نَعَم يا أُمّي. سَأَبْذُلُ كُلَّ ما أَسْتَطيعُ كَيْ يَعودَ والِدي».

مَرَّ الوَقْتُ ثَقيلًا عَلى الأُمِّ وابْنِها. ثُمَّ سَأَلَ «ناجي»: «هَلْ تَعْتَقِدينَ أَنَّ أَبي سَيَعودُ سَريعًا إلَيْنا؟».

غَصَّتِ الأُمّ، وقالَت: «طَبْعًا يا بُنَيّ، طَبْعًا. إنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ أَيَّ جَريمَةٍ. المُهِمُّ أَنْ نُوَكِّلَ مُحامِيًا ماهِرًا».

قالَ «ناجي»: «لَكِنَّكِ قُلْتِ أَمْس إنَّ المُديرَ وأَعْوانَهُ دَبَّروا لَهُ مَكيدَةً. كَيْفَ يُمْكِنُنا إثْباتُ ذَلِك؟».



الأُمّ: «سَنَشْرَحُ الأَمْرَ لِلمُحامي وهُوَ سَيَتَكَفَّلُ بِالقَضِيَّة».

في هَذِهِ الأَثْناء، طُرِقَ البابُ فَنَهَضَ «ناجي» وفَتَحَه. إِنَّهُ مُخْتارُ الحَيّ. رَحَّبَ «ناجي» بِالضَّيْف، وقال: «نَحْنُ جاهِزان».

قالَ المُخْتار: «مَرْحَبًا ناجي. أَرْجو أَنْ نُسْرِع».

ارْتَدَتِ الأُمُّ مِعْطَفَها الشَّتَوِيَّ وذَهَبَتْ بِرِفْقَةِ ابْنِها والمُخْتارِ إِلى قِسْمِ الشُّرْطَة.

وَصَلَ الجَميعُ إِلى مَبْنى قَديمٍ يَعُجُّ بِرِجالِ الشُّرْطَة. تَأَمَّلَ «ناجي» جُدْرانَ المَبْنى، إِنَّها رَمادِيَّةُ اللَّوْن، وفي كُلِّ زاوِيَةٍ تَتَدَلّى شِباكُ العَناكِب. أَمّا الأَبْواب، فَكانَتْ تُصْدِرُ صَوْتًا مُزْعِجًا عِنْدَ فَتْحِها وإِغْلاقِها.

جَلَسَ «ناجي» مَعَ أُمِّهِ في قاعَةِ الانْتِظارِ بَيْنَما أَخَذَ المُخْتارُ يَبْحَثُ عَنْ مُديرِ القِسْمِ كَيْ يَعْرِفَ حَقيقَةَ قَضِيَّةِ «أَبي ناجي».

بَعْدَ بُرْهَةٍ، عادَ المُخْتارُ وجَلَسَ إِلى جانِبِ الأُمِّ وابْنِها. لَمْ يَنْطُقِ المُخْتارُ بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ، وكانَ وَجْهُهُ مُتَجَهِّمًا.



نَظَرَتِ الأُمُّ إلى المُخْتار، وقالَت: «أَخْبِرني يا مُخْتار. ما هِيَ التُّهْمَةُ المُوَجَّهَةُ إلى زَوْجي؟».

المُخْتار: «كَما تَوَقَّعْتِ يا أُمَّ ناجي. إنَّها مَكيدَةٌ. يَتَّهِمونَهُ بِتَزْويرِ عُقودٍ وَهْمِيَّةٍ. يا لَهُم مِنْ ظُلّامٍ».

وَقَفَتْ «أُمُّ ناجي» بِسُرْعَةٍ، وقالَت: «أُريدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ إلى مُديرِ القِسْمِ. أُريدُ أَنْ أَفْهَمَ ما حَدَث، زَوْجي بَريءٌ».

المُخْتار: «اِهْدَئي يا أُمَّ ناجي، سَأَشْرَحُ لَكِ الأَمْرَ».

الأُمّ: «لا أُريدُ أَنْ تَشْرَحَ لي شَيْئًا. أُريدُ أَنْ أَرى زَوْجي، إنَّهُ بَريءٌ».

وَقَفَ «ناجي» حائِرًا بَيْنَ أُمِّهِ والمُخْتار. وهُنا خَرَجَ مُديرُ القِسْمِ عَلى وَقْعِ صُراخِ «أُمِّ ناجي». اقْتَرَبَ المُديرُ مِنَ المُخْتار، وقال: «مَنْ هَذِهِ المَرْأَة؟».

المُخْتار: «إنَّها زَوْجَةُ أَبي ناجي».

المُدير: «آه... فَهِمْت. أَرْجو أَلّا تَصْرُخي هُنا يا سَيِّدَتي».



الأُمّ: «أُريدُ مَعْرِفَةَ تَفاصيلِ التُّهْمَةِ الَّتي أُلْصِقَتْ بِزَوْجي، إِنَّهُ بَريءٌ».

المُدير: «سَيُثْبِتُ التَّحْقيقُ إِنْ كانَ بَريئًا أَمْ مُجْرِمًا».

هُنا صَرَخَ «ناجي»: «لا، لا... أَبي بَريءٌ، بَريءٌ».

تَحَجَّرَتْ دَمْعَةٌ في عَيْنِ «ناجي» وتَسارَعَتْ دَقّاتُ قَلْبِهِ وثَقَبَتْ نَظَراتُهُ وَجْهَ مُديرِ القِسْمِ الَّذي غَضِبَ كَثيرًا، وقال: «خُذْ هَذا الصَّبِيَّ وأُمَّهُ مِنْ هُنا يا مُخْتار. إِنَّني أَحْتَرِمُ وُجودَكَ مَعَهُما».

جَلَسَتِ «أُمُّ ناجي» مَعَ ابْنِها عَلى مَقْعَدٍ في الرُّدْهَةِ وحاوَلَ المُخْتارُ تَهْدِئَتَها: «لا تَحْزَني يا أُمَّ ناجي. سَنُوَكِّلُ مُحامِيًا وسَتَظْهَرُ بَراءَةُ أَبي ناجي حَتْمًا».

سالَتِ الدُّموعُ مِنْ عَيْنَي الأُمّ، وقالَت: «ما هَذا الظُّلْم؟ يَتَحَوَّلُ الإِنْسانُ الشَّريفُ إِلى مُجْرِمٍ في طَرْفَةِ عَيْنٍ».

وَضَعَ «ناجي» يَدَهُ عَلى كَتِفِ أُمِّه، وقال: «اِنْهَضي يا أُمّي، أَرْجوكِ لا تَبْكي. كَما قُلْتِ، إِنَّ البُكاءَ لَنْ يُفيدَنا».

خَرَجَ «ناجي» وأُمُّهُ والمُخْتارُ مِنْ مَبْنى قِسْمِ الشُّرْطَةِ واسْتَقَلّوا سَيّارَةَ أُجْرَةٍ. جَلَسَ «ناجي» مَعَ أُمِّهِ في المَقْعَدِ الخَلْفِيِّ، ونَظَرَ



مِنْ خِلالِ زُجاجِ السَّيّارَةِ إلى الرَّصيفِ الغارِقِ بِالأَمْطار. كانَ صَوْتُ ارْتِطامِ حَبّاتِ المَطَرِ بِالزُّجاجِ يَسْقُطُ عَلى أُذُنَي الفَتى اليافِعِ مُذَكِّرًا بِالمُصيبَةِ الَّتي أَلَمَّتْ بِعائِلَتِه. كانَتْ كُلُّ قَطْرَةِ مَطَرٍ تَحْمِلُ مَشْهَدًا مُؤْلِمًا.

إنَّ أَشَدَّ ما آلَمَ «ناجي» اليَوْم، عَدَمُ قُدْرَتِهِ عَلى رُؤْيَةِ أَبيه. أَوْ عَلى الأَقَلِّ أَنْ تَراهُ أُمُّه. لَمْ يَسْتَطيعا مَعْرِفَةَ شَيْءٍ عَنْ تُهْمَةِ الأَب، فَقَط تَزْويرُ عُقودٍ وَهْمِيَّةٍ.

قالَ «ناجي» في نَفْسِه: «كَيْفَ أَسْتَطيعُ مُساعَدَةَ أَبي؟ كَيْف؟».

نَظَرَ إلى أُمِّه، ما أَتْعَسَها. الزَّوْجُ في السِّجْن. أَرْبَعَةُ أَوْلادٍ في مَهَبِّ الرِّيح. لَكِنَّهُ لَمَحَ في وَجْهِها إصْرارًا قَوِيًّا عَلى مُقاوَمَةِ الشَّرِّ والظُّلْم. ما أَجْدَرَهُ أَنْ يَكونَ مِثْلَ أُمِّه، قَوِيًّا، صَبورًا، رَجُلًا كَما قالَتْ لَهُ في هَذا الصَّباح.

انْتَبَهَتِ الأُمُّ إلى نَظَراتِ ابْنِها، الفَتى اليافِع. قالَتْ في نَفْسِها: «ماذا يَنْتَظِرُنا يا بُنَيّ؟ هَلْ نَسْتَطيعُ الصُّمودَ في وَجْهِ الظُّروفِ الصَّعْبَة؟



أَعْقُدُ آمالي كُلَّها عَلَيْكَ. نَعَم، أَنْتَ أَكْبَرُ إخْوَتِكَ، سَتَأْخُذُ مَكانَ أَبيكَ رَيْثَما يَعود. رُبَّما تَسْتَغْرِقُ عَوْدَتُهُ وَقْتًا طَويلًا. أَرْجو أَلّا تُخَيِّبَ ظَنِّيَ فيكَ. أَتَمَنّى أَنْ تَكونَ كَخَشَبِ الزّان: صَلْبًا، صامِدًا، لا تَقْلَق... أَنا مَعَكَ».

قَطَعَ صَوْتُ المُخْتارِ الصَّمْتَ الرَّهيبَ وتَوَقَّفَ مُحَرِّكُ السَّيَارة: «وَصَلْنا».

نَزِلَتِ الأُمُّ مَعَ ابْنِها مِنَ السَّيّارَةِ وأَصَرَّتْ عَلى دَفْعِ الأُجْرَة، لَكِنَّ المُخْتارَ دَفَعَ قَبْلَها، وقال: «أَرْجوكِ يا أُمَّ ناجي».

الأُمّ: «أَرْجوكَ يا مُخْتار».

- إنَّهُ مَبْلَغٌ بَسيطٌ. «أَبو ناجي» مِنْ أَغْلى النّاسِ عِنْدي.
- شُكْرًا عَلى لُطْفِكَ يا مُخْتار.
- سَأَبْحَثُ عَنْ مُحامٍ ماهِرٍ يَتَوَلّى القَضِيَّة. كوني مُطْمَئِنَّةً.
- أَشْكُرُكَ يا مُخْتار.

وَصَلَ «ناجي» مَعَ أُمِّهِ إلى المَنْزِل. وعِنْدَما دَخَلا، قالَتِ الأُمّ:



«اِسْمَعْ يا ناجي. سَيَصِلُ إخْوَتُكَ بَعْدَ قَليلٍ، لا تُخْبِرْهُم بِأَيِّ شَيْءٍ. قُلْ لَهُم إنَّ والِدَكَ سَيَخْرُجُ قَريبًا».

- حَسَنًا يا أُمّي. لا تَقْلَقي.
- أَنْتَ رَجُلُ البَيْتِ الآن، يَجِبُ أَنْ تَقِفَ إلى جانِبي في هَذِهِ المِحْنَة.
- نَعَم يا أُمّي، لَنْ أَتَخَلّى عَنْكِ أَبَدًا أَبَدًا.

حَضَنَتِ الأُمُّ ابْنَها، وهُنا قُرِعَ جَرَسُ البابِ ودَخَلَ الأَوْلادُ الثَّلاثَة: «مُنى»، «أَحْمَد» و«سالِم» الصَّغير. سَأَل «سالِم»: «هَلْ عادَ والِدي؟».

الأُمّ: «لا يا صَغيري. سَيَعودُ قَريبًا».

سَأَلَ «أَحْمَد»: «ماذا حَصَلَ مَعَكُما في قِسْمِ الشُّرْطَة؟».

«ناجي»: «سَيَعودُ أَبونا قَريبًا. لا تَقْلَقْ يا أَحْمَد».

«مُنى»: «هَلْ رَأَيْتِ والِدي يا أُمّي؟».

نَزَلَ السُّؤالُ كَالصّاعِقَةِ عَلى سَمَعِ الأُمِّ لَكِنَّها تَمالَكَتْ أَعْصابَها،



وقالَت: «نَعَم، نَعَم، رَأَيْتُه. إنَّهُ بِصِحَّةٍ جَيِّدَةٍ وقَدْ أَوْصاني أَنْ أَنْقُلَ لَكُم سَلامَهُ الحارّ. هَيّا بِنا نَتَناوَلُ طَعامَ الغَداء. تَعالي لِمُساعَدَتي يا مُنى».

وهَكَذا، مَضى اليَوْمُ الأَوَّلُ مِنْ غِيابِ الأَبِ عَنْ بَيْتِهِ وحَلَّ المَساء. أَتى المُخْتارُ بِرِفْقَةِ المُحامي الأُستاذِ «جابِر».

جَلَسَتِ الأُمُّ مَعَ ابْنِها الأَكْبَر مُقابِلَ المُخْتارِ والأُسْتاذِ «جابِر»، وشَرَحَتْ قَضِيَّةَ زَوْجِها المَظْلوم. وَعَدَ المُحامي أَنْ يَعْمَلَ بِقِواهُ كُلِّها، لِإِثْباتِ بَراءَةِ المُوَظَّفِ المِسْكين.

قالَتْ «أُمُّ ناجي»: «بِالنِّسْبَةِ إلى أَجْرِكَ يا أُسْتاذُ جابِر... نَحْن...».

قاطَعَها المُحامي: «لَنْ أَطْلُبَ نُقودًا الآن. يَجِبُ أَنْ أَعْرِفَ مُلابَساتِ القَضِيَّةِ أَوَّلًا».

- هَلْ هَذا يَعْني أَنَّكَ قَدْ تَرْفُضُ الدِّفاعَ عَنْ زَوْجي. أَنا مُتَأَكِّدَةٌ مِنْ بَراءَتِه.
- لا، لا، سَأُدافِعُ عَنْهُ يا «أُمَّ ناجي». سَأَقْرَأُ أَوْراقَ القَضِيَّة، هَذا كُلُّ ما في الأَمْر.



اتَّفَقَتْ «أُمُّ ناجي» مَعَ المُحامي عَلى تَوَلّي قَضِيَّةِ زَوْجِها، وغادَرَ الضَّيْفان ـ المُخْتارُ والمُحامي ـ وجَلَسَتِ الأُمُّ مَعَ أَوْلادِها، وقالَت: «كَيْفَ حالُ الدِّراسَةِ اليَوْم؟ هَلْ أَنْجَزْتُم فُروضَكُم؟».

رَفَعَ «سالِم» يَدَه، وقال: «نعم»!

«مُنى»: «أُواجِهُ صُعوبَةً في دَرْسِ الرِّياضِيّات».

«أَحْمَد»: «أَنا سَأَشْرَحُ لَكِ الدَّرْسَ يا مُنى».

وهَكَذا، جَلَسَ «أَحْمَد» إلى جانِبِ أُخْتِهِ وأَخَذَ يَشْرَحُ الدَّرْسَ لَها.

نَظَرَتِ الأُمُّ إلى أَوْلادِها، وفَكَّرَت: «أَتَمَنّى أَلّا يَطولَ غِيابُكَ يا أَبا ناجي. لَقَدْ تَرَكْتَ حِمْلًا ثَقيلًا عَلى كاهِلي. أَصْبَحْتُ الآنَ بِمُفْرَدي في مُواجَهَةِ هَذِهِ الظُّروفِ الصَّعْبَة».

هُنا، شَعَرَ «ناجي» بِأَلَمِ أُمِّهِ فَاقْتَرَبَ مِنْها، وقال: «لا تَحْزَني يا أُمّي».

- أَنا لَسْتُ حَزينَةً. أَنا أُفَكِّرُ بِحالِنا بَعْدَ غِيابِ أَبيكَ. رُبَّما يَمْكُثُ طَويلًا بَعيدًا عَنّا.



- تَفاءَلي بِالخَيْرِ يا أُمّي. سَيَخْرُجُ أَبي مِنَ السِّجْنِ قَريبًا.

- أَتَمَنّى ذَلِكَ يا بُنَيّ. لَكِن، عَلَيْنا أَنْ نُؤَمِّنَ مَبْلَغًا مِنَ المالِ لِنَدْفَعَهُ لِلمُحامي.

– كَيْفَ سَنُؤَمِّنُ المَبْلَغَ يا أُمّي؟!».

وَضَعَتْ «أُمُّ ناجي» يَدَيْها عَلى آلَةِ الخِياطَةِ الَّتي اشْتَراها «أَبو ناجي» مُنْذُ زَمَنٍ بَعيدٍ وأَرْدَفَت: «بِفَضْلِ هَذِهِ الآلَةِ سَأَتَدَبَّرُ الأَمْر. لا تَقْلَقْ يا بُنَيّ».

– كَمِ المَبْلَغُ يا أُمّي؟

– لا أَعْرِفُ يا بُنَيّ. لَدَيْنا القَليلُ مِنَ المال.

– ماذا لَوْ سُجِنَ أَبي لِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ؟ كَيْفَ سَنَعيشُ يا أُمّي؟ عَلَيْنا دَفْعُ أُجْرَةِ البَيْتِ أَيْضًا!

– لا تَقْلَقْ يا «ناجي»، سَنَتَدَبَّرُ أَمْرَنا. هَيّا اِذْهَبْ إلى سَريرِكَ، عَلَيْكَ النُّهوضُ باكِرًا.



ذَهَبَ «ناجي» إلى سَريرِه، كانَ مُتعَبًا. إنَّهُ اليَوْمُ الأَوَّلُ مِنْ دونِ أَبيه. شَعَرَ بِأَنَّهُ يَحْمِلُ عِبْئًا ثَقيلًا عَلى كَتِفَيْه. كَيْفَ سَيَعيشُ مَعَ أُسْرَتِهِ مِنْ دونِ أَبيه؟ لَنْ تَكْفي آلَةُ الخِياطَةِ في تَلْبِيَةِ المَصاريفِ الكَبيرَةِ لِلمَعيشَة.

نامَ «ناجي» مِنْ شِدَّةِ التَّعَب. وعِنْدَما أَشْرَقَتْ شَمْسُ الصَّباح، وَجَدَ أَخاهُ الصَّغيرَ «سالِم» إلى جانِبِه.

اسْتَدانَتْ «أُمُّ ناجي» مَبْلَغًا مِنَ المالِ مِنْ جارَتِها زَوْجَةِ «مُعين» سِرًّا، وتَوَلّى المُحامي قَضِيَّةَ الأَبِ المَظْلوم.

كانَتِ المُؤامَرَةُ الَّتي حاكَها المُديرُ غايَةً في الدِّقَّة، ولَمْ يَسْتَطِعِ المُحامي إثْباتَ بَراءَةَ «أَبي ناجي».

لَمْ يَصْدُرِ الحُكْمُ سَريعًا. وتَوالَتِ الزِّياراتُ إلى السِّجْن، وقابَلَ «ناجي» أَباهُ عِدَّةَ مَرّاتٍ، وصارَحَهُ بِأَنَّهُ يُريدُ تَرْكَ المَدْرَسَةِ كَيْ يَعْمَلَ ويُساهِمَ في مَصْروفِ البَيْت. غَضِبَ «أَبو ناجي» كَثيرًا، وقال: «إذا كُنْتَ تُؤْمِنُ بِبَراءَتي فَعَلَيْكَ أَنْ تُتابِعَ الدِّراسَة. سَأَخْرُجُ



عاجِلًا أَمْ آجِلًا مِنْ سِجْني، ولَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تُتابِعَ دِراسَتَكَ».

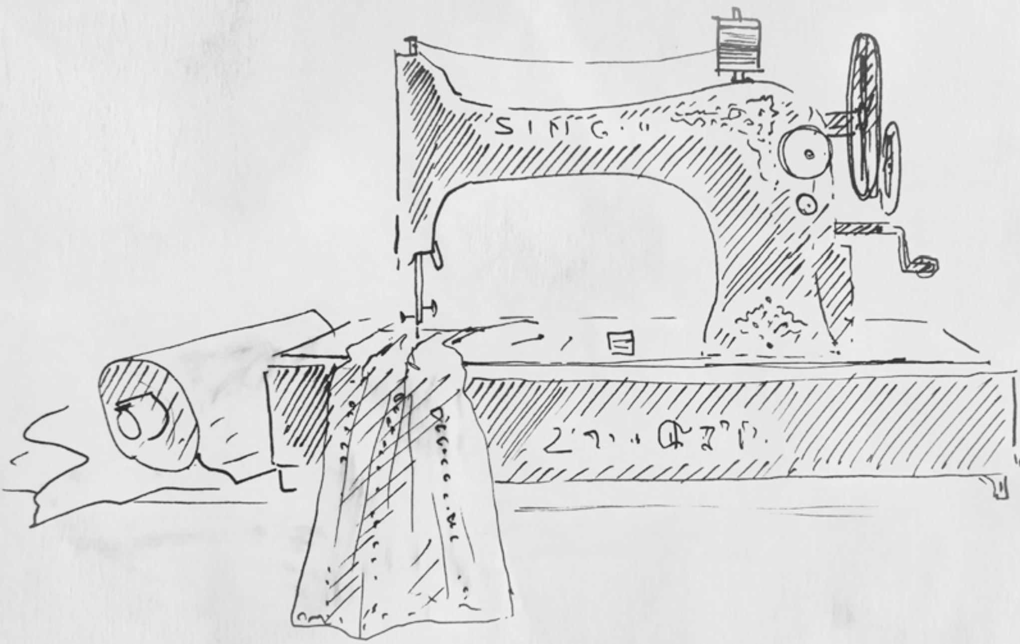
وَعَدَ «ناجي» أَباهُ بِمُتابَعَةِ الدِّراسَة، وعَمِلَتِ الأُمُّ لَيْلًا ونَهارًا عَلى آلَتِها، واسْتَطاعَتْ تَأْمينَ مَصْروفِ البَيْتِ وأُجْرَتِهِ مِنْ كَدِّ يَدِها.

انْتَهى الفَصْلُ الدِّراسِيُّ الأَوَّل...وفي فَتْرَةِ العُطْلَةِ القَصيرَة، عَمِلَ «ناجي» مَعَ «الحاج سَعيد» في وَرْشَةِ النِّجارَة.

في وَرْشَةِ «الحاج سَعيد»، وَقَعَ نَظَرُ «ناجي» عَلى السُّتْرَةِ الَّتي كانَ أَبوهُ يَرْتَديها. اقْتَرَبَ مِنْها ولَمَسَها بِيَدَيْه، ثُمَّ حَضَنَها وضَمَّها إلى صَدْرِهِ وانْفَجَرَ بِالبُكاء.

اقْتَرَبَ «الحاج سَعيد» مِنَ الفَتى اليافِع، وقال: «لا تَبْكِ يا بُنَيّ. ارْتَدِ سُتْرَةَ أَبيكَ وهَيّا إلى العَمَل، لَنْ يُفيدَ البُكاء. سَتَعْمَلُ عِنْدي في العُطْلَةِ الانْتِصافِيَّةِ ثُمَّ تَعودُ إلى مَدْرَسَتِكَ».

مَسَحَ «ناجي» دُموعَه، وسَأَل: «هَلْ يُمْكِنُني الاسْتِمْرارُ في العَمَلِ مَعَكَ أَثْناءَ الدِّراسَة. أَعِدُكَ يا حاج سَعيد، سَأَتَفَوَّقُ في دِراسَتي ولَنْ أُهْمِلَها. أُريدُ مُساعَدَةَ أُمّي».



ـ سَأزورُ أَباكَ في سِجْنِهِ وسَأَتَحَدَّثُ مَعَهُ في الأَمْر. هَيّا. ناوِلْني المِنْشارَ الكَبير.

كانَ «الحاج سَعيد» أَقْرَبَ النّاسِ إلى قَلْبِ «ناجي» مِنْ سُكّانِ الحَيّ. وكانَتْ كَلِماتُهُ المُشَجِّعَةُ كَالبَلْسَمِ عَلى الجُرْحِ بِالنِّسْبَةِ إلى «ناجي». تَعَلَّمَ مِنْهُ الصَّبْرَ كَما تَعَلَّمَ فُنونَ المِهْنَة.

بَدَأَ الفَصْلُ الدِّراسِيُّ الثّاني، وعادَ «ناجي» إلى مَدْرَسَتِه. فوجِئَ «ناجي» بِمَقاعِدِ الصَّفِّ الجَديدَة. كانَتِ المَقاعِدُ في الفَصْلِ الأَوَّلِ قَديمَةً ومُهْتَرِئَةً.

فَرِحَ التَّلامِذَةُ بِالمَقاعِدِ الجَديدَة، وأَلْقى مُديرُ المَدْرَسَةِ كَلِمَةً لِمُناسَبَةِ بَدْءِ الدِّراسَةِ مِنْ جَديدٍ: «أُرَحِّبُ بِالتَّلامِذَةِ الأَعِزّاءِ في بِدايَةِ الفَصْلِ الثّاني. لَقَدْ بَذَلْنا جُهْدًا كَبيرًا مِنْ أَجْلِ تَأْمينِ مَقاعِدَ جَديدَةٍ. أَرْجو أَنْ تُحافِظوا عَلَيْها».

دَخَلَ «ناجي» إلى صَفِّهِ وتَلَمَّسَ خَشَبَ المَقْعَدِ الجَديد. إِنَّهُ مَقْعَدٌ مَصْنوعٌ بِعِنايَةٍ فائِقَةٍ. جَثا «ناجي» عَلى رُكْبَتَيْهِ وأَخَذَ



يَتَفَحَّصُ المَقْعَدَ كَنَجّارٍ مُحْتَرِفٍ. ثُمَّ لاحَظَ اسْمًا مَحْفورًا في أَسْفَلِ المَقْعَد. قَرَأَ الاسْمَ وأَصابَتْهُ الدَّهْشَة! إِنَّهُ اسْمُ أَبيه! نَعَم، اسْمُ أَبيه!

فَكَّرَ «ناجي»: «مَنْ حَفَرَ اسْمَ أَبي عَلى المَقْعَد؟ إِنَّهُ أَمْرٌ عَجيبٌ!». أَخْفى «ناجي» الأَمْرَ عَنْ زُمَلائِهِ في الصَّفِّ واحْتَفَظَ بِالسِّرّ.

وفي اليَوْمِ التّالي، سارَعَ إلى زِيارَةِ أَبيهِ في السِّجْنِ وباحَ لَهُ بِسِرِّ المَقْعَد.

قالَ الأَب: «إِنَّها مُفاجَأَةٌ سارَّةٌ. أَنا أَعْمَلُ في وَرْشَةِ النِّجارَةِ المَوْجودَةِ داخِلَ السِّجْن. لَقَدْ حَفَرْتُ اسْمي عَلى أَحَدِ المَقاعِد».

ـ إِنَّها مُصادَفَةٌ غَريبَةٌ يا أَبي. أَنا أَجْلِسُ عَلى هَذا المَقْعَد. إِنَّكَ مَوْجودٌ مَعي دائِمًا في الصَّفّ.

ـ عَلَيْكَ أَنْ تَبْذُلَ قُصارى جُهْدِكَ في المَدْرَسَة.

ـ هَلْ تَسْمَحُ لي بِالعَمَلِ مَعَ «الحاج سَعيد» بَعْدَ انْتِهاءِ الدَّوام؟ أَرْجوكَ يا أَبي، اِسْمَحْ لي».



ـ أَنا مُوافِقٌ يا بُنَيّ، شَرْطَ أَنْ تَكونَ مُتَفَوِّقًا دائِمًا.

ـ أَعِدُكَ يا أَبي، سَأَكونُ مِنَ الأَوائِلِ.

مَعَ نِهايَةِ الفَصْلِ الثّاني، ونَجاحِ «ناجي» إلى الصَّفِّ الثّامِنِ، صَدَرَ الحُكْمُ عَلى أَبيه. السَّجْنُ خَمْسَ سَنَواتٍ.

لَمْ يَسْتَطِعِ المُحامي إثْباتَ بَراءَةِ الأَبِ المَظْلوم، وعاشَتِ الأُسْرَةُ المَنْكوبَةُ أَيّامًا مَريرَةً بَعْدَ صُدورِ الحُكْمِ.



في العُطْلَةِ الصَّيْفِيَّة، تابَعَ «ناجي» عَملَهُ مَعَ «الحاج سَعيد» في وَرْشَةِ النِّجارَة.

حَفَرَ «ناجي» حَرْفَ «النّونِ» بِالإنْكليزِيَّةِ عَلى القِطَعِ الَّتي ساهَمَ بِالعَمَلِ فيها: كُرْسِيٌّ، سَريرٌ، خِزانَةٌ، وأَبْوابٌ. وقَدْ لاحَظَ «الحاج سَعيد» ذَلِك، فَسَأَل: «لِماذا تَفْعَلُ ذَلِكَ يا ناجي؟».

ـ إنَّهُ الحَرْفُ الأَوّلُ مِنِ اسْمي!



ضَحِكَ «الحاج سَعيد»، وقال: «لَقَدْ رَبِحَتِ المَدينَةُ نَجّارًا مُحْتَرِفًا جَديدًا!».

اسْتَيْقَظَتِ الأُسْرَةُ في صَباحٍ صَيْفِيٍّ عَلى وَقْعِ طَرْقِ الباب. كانَ الطّارِقُ صاحِبَ البَيْتِ الَّذي تَسْتَأْجِرُهُ عائِلَةُ «ناجي». طَلَبَ مالِكُ البَيْتِ مِنْ «أُمِّ ناجي» مُغادَرَةَ البَيْتِ وفَسْخَ عَقْدِ الإيجار!

تَعَجَّبَتْ «أُمُّ ناجي»: «لِماذا تُريدُ مِنّا فَسْخَ عَقْدِ الإيجار؟ إنَّنا نَدْفَعُ الأُجْرَةَ بِانْتِظامٍ».

قالَ المالِك: «بِصَراحَةٍ، أَنا لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُؤَجِّرَ بَيْتي لِشَخْصٍ يَقْبَعُ في السِّجْن. اعْذُريني يا أُمَّ ناجي، إنَّ سُمْعَتي تَهُمُّني كَثيرًا».

هَزَّتْ «أُمُّ ناجي» رَأْسَها ولَمْ تَلْفُظْ أَيَّ كَلِمَةٍ. غادَرَ مالِكُ البَيْتِ بَعْدما مَنَحَ العائِلَةَ شَهْرًا واحِدًا لإيجادِ مَنْزِلٍ بَديلٍ.

تَدَخَّلَ المُخْتارُ وطَلَبَ مِنْ مالِكِ البَيْتِ أَنْ يُقَدِّرَ ظُروفَ العائِلَةِ المَنْكوبَة. لَكِنَّ المالِكَ رَفَضَ مُتَذَرِّعًا بِالحِفاظِ عَلى سُمْعَةِ بَيْتِه.



كَما حاوَلَ وُجَهاءُ الحَيِّ إقْناعَ المالِك، لَكِنَّ مُحاوَلاتِهِم باءَتْ بِالفَشَل.

نَظَرَتْ «أُمُّ ناجي» إلى السَّماء، وقالَت: «يا رَبّي. أَنْتَ تَعْرِفُ حالَتي. يا رَبّ، ساعِدْني. لا مَلْجَأَ لي سِواكَ». وانْهَمَرَتِ الدُّموعُ مِنْ عَيْنَيْها حُزْنًا عَلى المُصيبَةِ الجَديدَةِ الَّتي أَلَمَّتْ بِها وبِعائِلَتِها.

اقْتَرَبَ «ناجي» مِنْ أُمِّهِ وحاوَلَ تَهْدِئَتَها: «لا تَحْزَني يا أُمّي. سَنَبْحَثُ عَنْ بَيْتٍ آخَر. سَأَعْمَلُ مَعَ الحاجِ سَعيد لَيْلًا ونَهارًا كَيْ أُساهِمَ في تَأْمينِ الإيجار».

أَنْتَ تَعْلَمُ أنَّنا نَسْتَأْجِرُ البَيْتَ مُنْذُ مُدَّةٍ طَويلَةٍ مُقابِلَ مَبْلَغٍ قَليلٍ. أَمّا الآن، فَعَلَيْنا أَنْ ندْفَعَ أُجْرَةً كَبيرَةً لِأَيِّ بَيْتٍ جَديدٍ.

ـ سَأَذْهَبُ إلى مالِكِ البَيْت، سَأُقْنِعُهُ بِالبَقاءِ في بَيْتِنا. الجَميعُ يَعْرِفونَ أَنَّ أَبي لَيْسَ مُجْرِمًا، إنَّهُ مَظْلومٌ.

ـ لَنْ تَسْتَفيدَ في شَيْءٍ. لَقَدْ حاوَلَ المُخْتارُ ووُجَهاءُ الحَيِّ إقْناعَهُ لَكِنَّهُ مُصِرٌّ عَلى رَأْيِه.

جَلَسَ «ناجي» مَعَ أُمِّهِ في فِناء البَيْت، وأَضاءَ القَمَرُ وُجوهَ الأَطْفالِ التَّعِسَة، وتَحَلَّقوا حَوْلَ أُمِّهِم. هُنا، أَتى المُخْتارُ وأَخْبَرَ «أُمَّ ناجي» أنَّهُ وَجَدَ بَيْتًا بِثَلاثَةِ أَضْعافِ الأُجْرَة. شَكَرَتْ «أُمُّ ناجي» المُخْتارَ عَلى مُروءَتِهِ وأَخْبَرَتْهُ أنَّها سَتَزورُ «أَبا ناجي» في السِّجْنِ كَيْ تُشاوِرَهُ في الأَمْر.



أَشْرَقَ الصَّباح، وذَهَبَتْ «أُمُّ ناجي» مَعَ وَلَدِها البِكْرِ لِزِيارَةِ زَوْجِها في السِّجْن. في الطَّريق، فَكَّرَتِ الأُمُّ في مَشاعِرِ زَوْجِها. سَيَنْزَعِجُ كَثيرًا عِنْدَما يَعْلَمُ أَنْ عَلى الأُسْرَةِ المَنْكوبَةِ أَنْ تُغادِرَ بَيْتَها المُسْتَأْجَر. ولَكِن، ما عَساها تَفْعَل، لا بُدَّ مِنْ إخْبارِه.

جَلَسَتْ «أُمُّ ناجي» مَعَ وَلَدِها أَمامَ الأَب، ويَفْصِلُ بَيْنَهُم شَبَكٌ حَديدِيٌّ. صَمَتَتِ الأُمُّ قَليلًا، ثُمَّ قالَت: «عَلَيْنا مُغادَرَةُ المَنْزِلِ يا أَبا ناجي».

الأَب: «لِماذا؟!».

الأُمّ: «لَقَدْ أَصَرَّ صاحِبُ المَنْزِلِ عَلى ذَلِك. إنَّهُ لا يَرْغَبُ في تَجْديدِ عَقْدِ الإيجار».

الأَب: «لَقَدْ فَهِمْتُ السَّبَب. إنَّهُ لا يَرْغَبُ في أَنْ يُؤَجِّرَ بَيْتَهُ لِإنْسانٍ سَجينٍ. أَلَيْسَ كَذلَك؟!».

الأُمّ: «بِكُلِّ أَسَفٍ... نَعَم».

صَمَتَ «أَبو ناجي» قَليلًا، ثُمَّ قال: «تَعيشُ أُمّي وَحْدَها في مَنْزِلٍ



كَبيرٍ. ما رَأْيُكُم أَنْ تَنْتَقِلوا لِلعَيْشِ مَعَها؟».

الأُمُّ: «لَكِنَّها تَعيشُ في مَدينَةٍ بَعيدَةٍ!».

الأَب: «لا حَلَّ آخَرَ هُناك. لَنْ تَسْتَطيعي اسْتِئْجارَ بَيْتٍ جَديدٍ طالَما أَنا في السِّجْن. إضافَةً إلى أَنَّكِ سَتُوَفِّرينَ مَبْلَغَ الإيجار. أَرْجوكِ وافِقي يا أُمَّ ناجي».

وافَقَتِ الأُمُّ الَّتي تَعْلَمُ أَنْ عَلَيْها أَنْ تَتَلاءَمَ مَعَ ظُروفِ الحَياةِ القاسِيَةِ في مَدينَةٍ بَعيدَةٍ. أَمّا الأَب، فَهَمَسَ في أُذُنِ ابْنِه: «أَعْلَمُ أَنَّكَ سَتَحْزَنُ بِسَبَبِ المَقْعَد، لَكِنَّ جَدَّتَكَ تَعيشُ وَحيدَةً ويُمْكِنُنا تَوْفيرُ بَعْضِ المال. لا تَحْزَنْ يا بُنَيّ».

هَزَّ «ناجي» رَأْسَهُ مُوافِقًا ولَمْ يَنْطُقْ بِأَيِّ كَلِمَةٍ حِفاظًا عَلى سِرِّ المَقْعَد.

ذَهَبَ «ناجي» إلى المَدْرَسَةِ لِاسْتِكْمالِ أَوْراقِ نَقْلِهِ إلى مَدينَةِ جَدَّتِه. وطَلَبَ مِنَ المُديرِ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِنَقْلِ مَقْعَدِهِ إلى مَدْرَسَتِهِ الجَديدَة.



سَخِرَ المُديرُ مِنَ الفَتى اليافِع: «إِنَّكَ تَطْلُبُ مِنّي الحُصولَ عَلى المَقْعَدِ وكَأَنَّكَ تَمْلِكُه؟ أَوْ أَنَّ أَباكَ السَّجينَ قَدَّمَهُ هَدِيَةً لَكَ في عيدِ ميلادِكَ؟».

تَرَدَّدَ صَدى كَلِماتِ المُديرِ في أُذُنَي «ناجي» الَّذي شَعَرَ بِدُوارٍ في رَأْسِهِ وسَقَطَ عَلى الأَرْضِ فاقِدًا الوَعي.

تَجَمْهَرَ المُدَرِّسونَ حَوْلَ الفَتى البائِسِ الَّذي صَحا مِنْ غَيْبوبَتِهِ ونَظَرَ إِلى الوُجوهِ المُسْتَغْرِبَةِ والعُيونِ المُحَدِّقَةِ فيه. وبَعْدَ بُرْهَةٍ، خَرَجَ الجَميعُ ما عَدا الأُستاذِ «عارِف»، إِنَّهُ أَقْرَبُ المُدَرِّسينَ إِلى «ناجي».

الأُسْتاذُ «عارِف»: «لَقَدْ أَخَفْتَنا يا ناجي. هَلْ أَنْتَ بِخَيْرٍ الآن؟».

«ناجي»: «نَعَم، أَنا بِخَيْرٍ. شُكْرًا لَكَ يا أُسْتاذ. أَيْنَ المُدير؟ أُريدُ أَنْ يَسْمَحَ لي بِنَقْلِ مَقْعَدي».

الأُسْتاذُ «عارِف»: «لَقَدْ غادَرَ المُديرُ المَدْرَسَة. ولَكِن، لِماذا تُريدُ الحُصولَ عَلى هَذا المَقْعَد. في مَدْرَسَتِكَ الجَديدَةِ مَقاعِدُ دِراسِيَّةٌ، المَقاعِدُ مُتَشابِهَةٌ».

«ناجي»: «لا يا أُسْتاذ، لَيْسَتْ مُتَشابِهَةً. هَذا المَقْعَدُ مُمَيَّزٌ، أُريدُ أَنْ أَنْقُلَهُ مَعي».

الأُسْتاذُ «عارِف»: «اِشْرَحْ لي يا ناجي. لِماذا هَذا المَقْعَدُ مُمَيَّزٌ؟».

صَمَتَ «ناجي» ولَمْ يُجِبْ عَن سُؤالِ الأُسْتاذِ «عارِف»، وقالَ في نَفْسِه: «ماذا أَفْعَل؟ ساعِدْني يا رَبّ. هَلْ أَبوحُ لَهُ بِالسِّرّ؟».



سَألَ الأُسْتاذُ «عارِف» مُجَدَّدًا عَنْ سَبَبِ تَمَيُّزِ المَقْعَد، وهُنا تَنَفَّسَ الفَتى الحَزينُ بِعُمْقٍ، وقال: «اسْمُ أَبي مَحْفورٌ عَلى هَذا المَقْعَد! هَذا هُوَ السَّبَب».

دُهِشَ الأُسْتاذُ «عارِف» واقْتَرَبَ مِنَ المَقْعَدِ وتَعَجَّبَ عِنْدَما رَأى اسْمَ والِدِ «ناجي» عَلى المَقْعَد. ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنْ «ناجي» وأَمْسَكَهُ بِكَتِفَيْهِ قائِلًا: «هَلْ حَفَرْتَ اسْمَ أَبيكَ عَلى المَقْعَد؟».

«ناجي»: «لا يا أُسْتاذ، أَبي صَنَعَ هَذا المَقْعَد. وهُوَ مَنْ حَفَرَ اسْمَهُ عَلَيْه».

الأُسْتاذُ «عارِف»: «يا لَها مِنْ مُصادَفَةٍ غَريبَةٍ!».

«ناجي»: «نَعَم، إِنَّها أَغْرَبُ مِنَ الخَيال».

الأُسْتاذُ «عارِف»: لا تَحْزَنْ يا ناجي. سَأَبْذُلُ قُصارى جُهْدي كَيْ أُساعِدَكَ في الحُصولِ عَلى المَقْعَد».

ـ حَقًّا؟!

ـ نَعَم، إِنَّهُ وَعْدٌ.



ـ إنَّما أَرْجو أَنْ تَحْفَظَ سِرَّ المَقْعَدِ يا أُسْتاذ. أَرْجوكَ.

ـ لا تَقْلَق، سَيَبْقى سِرًّا بَيْنَنا.

سافَرَ «ناجي» مَعَ عائِلَتِهِ إلى بَيْتِ جَدَّتِه. إنَّهُ بَيْتٌ فَسيحٌ تَتَوَسَّطُهُ نافورَةُ ماءٍ جَميلَةٌ.

رَحَّبَتِ الجَدَّةُ بِالسُّكّانِ الجُدُدِ وجالَتْ مَعَهُم في أَرْجاءِ المَنْزِل.

بَعْدَ فَتْرَةٍ، اتَّصَلَ «ناجي» بِالأُسْتاذِ «عارِف»، وسَأَلَهُ عَنِ المَقْعَدِ فَوَعَدَهُ الأُسْتاذُ «عارِف» بِمُتابَعَةِ الجُهود.

شارَفَتِ السَّنَةُ الدِّراسِيَّةُ عَلى البَدْء، واتَّصَلَ «ناجي» ثانِيَةً بِبَيْتِ الأُسْتاذِ «عارِف». تَحَدَّثَ «ناجي» مَعَ والِدِ الأُسْتاذ، وعِنْدَما طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعَه، أَجْهَشَ الوالِدُ بِالبُكاء! كانَ خَبَرًا مُؤْلِمًا. لَقَدْ تُوُفِّيَ الأُسْتاذُ «عارِف» في حادِثِ سَيْرٍ.

أَغْلَقَ «ناجي» سَمّاعَةَ الهاتِفِ وانْهارَ عَلى الكُرْسِيِّ وبَكى بِحَرْقَةٍ. لَقَدْ كانَ الأُسْتاذُ «عارِف» الشَّخْصَ الوَحيدَ الَّذي وَعَدَ بِمُساعَدَتِهِ في قَضِيَّةِ المَقْعَد. كانَ أَقْرَبَ إنْسانٍ في المَدْرَسَةِ إلى قَلْبِه. ماذا سَيَفْعَلُ الآن؟



فَقَدَ «ناجي» الأَمَلَ في الحُصولِ عَلى المَقْعَد، وحَكى لِأَبيهِ عَنْ حادِثَةِ وَفاةِ الأُسْتاذِ «عارِف». وَعَدَ الأَبُ بِمُساعَدَةِ ابْنِهِ في الحُصولِ عَلى المَقْعَدِ لَكِنَّهُ لَمْ يَلْقَ أُذُنًا صاغِيَةً مِنْ أَحَدٍ.

صَنَعَ الأَبُ مَقْعَدًا جَديدًا، وطَلَبَ مِنْ مُديرِ السِّجْنِ أَنْ يُرْسِلَهُ إلى ابْنِهِ «ناجي» في المَدْرَسَة. كانَ مَوْقِفُ مُديرِ السِّجْنِ مُماثِلًا لِمَوْقِفِ مُديرِ مَدْرَسَةِ «ناجي».

ذَهَبَ والِدُ الأُسْتاذِ «عارِف» إلى مَدْرَسَةِ «ناجي»، وقالَ لِلمُدير: «أَرْجوكَ أَنْ تُلَبّي رَغْبَةَ وَلَدي المُتَوَفّى الأَخيرَة. أَرْجوكَ أَنْ تُوافِقَ عَلى نَقْلِ هَذا المَقْعَدِ إلى مَدْرَسَةِ ناجي الجَديدَة. أَرْجوكَ».

فَكَّرَ المُديرُ وتَأَثَّرَ بِكَلِماتِ الأَبِ المَصْعوقِ بِوَفاةِ ابْنِه، ووافَقَ عَلى نَقْلِ المَقْعَدِ إلى صَفِّ «ناجي» الجَديد.

كانَ لِقاءُ «ناجي» مَعَ والِدِ الأُسْتاذِ «عارِف» أَشْبَهَ بِلِقاءِ إنْسانٍ ضائِعٍ في الصَّحْراءِ بِواحَةِ مِياهٍ. عادَ الأَمَلُ مُجَدَّدًا إلى «ناجي». عادَتِ الرّوحُ إلَيْهِ ثانِيَةً. سَيَبْقى والِدُهُ مَعَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وسَيَزيدُهُ إصْرارًا عَلى النَّهْلِ مِنَ العِلْمِ والمَعْرِفَةِ مِنْ أَجْلِ التَّفَوُّق.



الموضوع : المساعدة، الأُسرة، المهن، الظّلم.

تَعْتَقِلُ الشُّرْطَةُ والِدَ «ناجي» وتَسْجِنُهُ ظُلْمًا... وتَبْدَأُ مُعاناةُ الأُسْرَةِ في ظِلِّ غِيابِ الأَب، فَاضْطَرَّ «ناجي» أَنْ يَعْمَل ـ إلى جانِبِ الدِّراسَة ـ نَجّارًا لِيُعيلَ أُمَّهُ وإِخْوَتَه...

بَعْدَ فَتْرَةٍ، يَكْتَشِفُ «ناجي» أَنَّهُ يِجْلِسُ عَلى مَقْعَدٍ في المَدْرَسَةِ مِنْ صُنْعِ أَبيهِ المَسْجون. فَما هُوَ سِرُّ هَذا المَقْعَدِ الخَشَبِيّ؟

مؤسّسة الفكر العربي
عربي 21
معايير تصنيف عربي21 وهنادا طه
٤

ISBN 614-442-278-6
9 786144 422786
Book # A 1241
أصالة